أثر المشكل في فهم الآيات القرآنية
(دراسة تحليلية)

د٠ زهرة شعبان سعيد المازني (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله وعظيم نعمائه وله المنة أن حبانا بالدين القويم وله الفضل أن هدانا للصراط المستقيم، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله بالحق وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور؛ لأنه منبع الهداية ومعلم الرشاد ومعجزة الإسلام الخالدة، ولذا عكف العلماء على دراسته وتفسيره حتى بلغوا مكاناً عظيماً في فهم ما أشكل على بعض الناس، واستخراج أسراره البلاغية وكنوزه المعنوية، وبذلوا في ذلك النفيس والغالي، وأفنوا أعمارهم في تحقيق هذه الغاية المنشودة.

وقد نال مشكل القرآن الكريم اهتمام العلماء قديماً وحديثاً، وأخذوا في دراسته وتحليله وتفسيره والتأليف فيه على امتداد القرون، واختلاف المبادئ وتعدد الأساليب، وحظى مشكل القرآن بنصيب وافر من الدراسات المتخصصة عبر القرون المختلفة، منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل حتى الآن من الكتب القيمة في مشكل القرآن الكريم

أولاً: موضوع البحث :

على الرغم من كثرة هذه الدراسات التي تعرضت للقرآن الكريم، فإن القرآن بحر لا ساحل لا تنفذ جواهره ولا ينضب معينه، لما تميز به القرآن من صفات،

(*) قسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية.

وما اختصت ألفاظه وتراكيبه بميزات، وخصائص تظهر إعجاز القرآن الخالد في أحلى وأبهى صورة.

وكثيراً ما عرض القرآن لشبهات القوم بأصدق عبارة وأدق وصف، ثم يأتي عليها بأسطع حجة وأبلغ برهان، ولم تقف الشبهات عند حدود ما ذكره القرآن الكريم، إذ لا تمر مرحلة من الزمن إلا وتخرج شبهات جديدة تبنى أغلبها على شبهات سالفة وتتفق معها في الأهداف، ومن هذه الشبهات الإدعاء بوجود آيات مشكلة في القرآن الكريم، فوجب إلقاء الضوء على هذه الشبهة من حيث مسارها التاريخي وآثارها في منهج فهم القرآن الكريم، وهي قضية تستحق البحث والدراسة المبنية على أصول علمية.

ثانياً: أهداف الدراسة:

١- الحاجة إلى الوقوف على هذه الإشكالية ودراستها دراسة علمية

٢- الوقوف على جهود العلماء، وذودهم عن حياض هذا القرآن، والكشف عن المواهب العلمية التي تزخر بها عقولهم، وهم يتعاملون مع هذا القرآن الكريم.

٣- إبراز آثار القول بالمشكل على النص القرآني، والوقوف على سلبيات هذه الآثار.

ثالثاً: أهمية الدراسة:

تبدو أهمية دراسة كتب مشكل القرآن في النقاط الآتية:

١- الإشارة إلى الفوائد الكثيرة التي تقدمها كتب مشكل القرآن من حيث تقعيد القواعد اللغوية وتصحيح نظر بعض الناس نحو الآليات القرآنية التي توهم بالإشكال

٢- نفي الإشكال عن آيات القرآن الكريم، لأن الإشكال يعود إلى تفسير الآيات القرآنية، لأن المفسر يتحدث حسب قدرته البشرية ودرجته العلمية.

رابعاً: أسباب اختيار الموضوع:

دعاني إلى دراسة مشكل القرآن الكريم عدد من الأسباب، منها:

١- خدمة كتاب الله تعالى، والكتب التي ألفت في مسألة من مسائل كتاب الله، والحديث عن طرائق التفسير اللغوي الصحيح للآيات المشكلة والوقوف على آراء العلماء عنها.

٢- الاستفادة من آراء العلماء في مشكل القرآن، والاطلاع على أساليب اللغويين والمفسرين في بيان مشكل القرآن والترجيح بين الآيات التي توهم الاضطراب والإشكال.

خامسا: منهج البحث:

ولقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي لأنه الأنسب في التأسيس لمفهوم المشكل في القرآن الكريم.

سادساً: الدراسات السابقة:

بعد الدراسة والتحري تبين لي أن هذا الموضوع من المواضيع التي لم يتطرق إليه الباحثون بمثل هذا التصنيف، كما لم أعثر على رسالة علمية محكمة تناولت هذا الموضوع دراسة موضوعية ومحكمة، وقعت بالبحث على شبكة الإنترنت فلم أجد أحداً قد سبقني بهذه الدراسة، إلا أنني قد وجدت بعض البحوث والمقالات المتعلقة بالموضوع، مع غياب التحليل العلمي المقنع وهذا أكبر ما يعاب على الدارسين المتأخرين.

أما عن دراستي فتكتسي جانباً من الطرح حيث إن اختياري وقع على موضوع أثر المشكل في فهم الآيات القرآنية (دراسة تحليلية).

سابعاً: خطة البحث:

أما بالنسبة لخطة البحث فقسمتها إلى سبعة مباحث وخاتمة ومحتويات البحث.

أما المقدمة: فتحدثت فيها كما سبق عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف الدراسة والمنهج المتبع فيها وخطته.

المبحث الأول

مفهوم مشكل القرآن الكريم وأهميته

١- تعريف مشكل القرآن لغة واصطلاحاً:

أ- تعريف مشكل القرآن لغة:

المشكل اسم فاعل من أشكل الأمر إذا اختلط بغيره، جاء في المقاييس: "شكل" الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة تقول: هذا شكل هذا، أي مثله ومن ذلك يقال أمر مشكل، كما يقال أمر مشتبه، أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا، ثم يحمل على ذلك، فيقال: شكلت الدابة بشكاله، وذلك أنه يجمع بين إحدى قوائمه وشكل لها، وكذلك دابة بها شكال، إذا كان إحدى يديه وإحدى رجليه محجلاً، وهو ذاك القياس: لأن البياض أخذ واحدة وشكلها.

ومن الباب: الشكلة، وهي حمرة يخالطها بياض، وعين شكلاء إذا كان في بياضها حمرة يسيرة. قال ابن دريد: ويسمى الدم أشكل، للحمرة والبياض المختلطين منه. وهذا صحيح، وهو من الباب الذي ذكرناه في إشكال هذا الأمر، وهو التباسه، لأنها حمرة لابسها بياض.

قال الكسائي: أشكل النخل، إذا طاب رطبه وأدرك. وهذا أيضاً من الباب: لأنه قد شاكل التمر في حلاوته ورطوبته وحمرته[١] .

وقال الرازي: ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الإنسان عن التمييز بينهما سمى كل ما لا يهتدي الإنسان إليه بالمتشابه، إطلاقاً لاسم السبب على المسبب، ونظيره المشكل سمى بذلك، لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فاشتبه وشابهه، ثم قال لكل ما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل، ويحتمل أن يقال: إنه الذي لا يعرف أن الحق ثبوته أو عدمه، وكان الحكم بثبوته متساوياً للحكم بعدمه في العقل والذهن، ومشابهاً له، وغير متميز أحدهما عن

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة شكل.

الآخر بمزيد رجحان، فلا جرم سمى غير المعلوم بأنه متشابه، فهذا تحقيق القول في المحكم والمتشابه بحسب أصل اللغة[1]

وبذلك يتضح أن المعنى اللغوي للمشكل يدور حول: المماثلة والاختلاط، والالتباس، والاشتباه

تشترك بعض العلوم في بحث المشترك كأصول الفقه والحديث وعلوم القرآن، ومن ثم فقد اختلفت تعريفاتهم على اختلاف تخصصاتهم، إلا أنني أكتفي بترتيب المشكل عند علماء التفسير وعلوم القرآن لمتطلبات تحديد حجم البحث.

ب- تعريف مشكل القرآن اصطلاحاً:

لمعرفة المشكل عند علماء التفسير وعلوم القرآن، يتطلب الأمر النظر في نوعين من المؤلفات:

- **النوع الأول:** الكتب التي اعتنت بدراسة الآيات المشكلة.
- **النوع الثاني:** الكتب الموسوعية الجامعة العلوم القرآن الكريم.

١- **النوع الأول:** إن الباحث عن الآيات المشكلة يجدها متناثرة في كتب التفسير باتجاهاتها، كما يجدها في الكتب المؤلفة قصدا لجمع الآيات التي أشكلت على المفسرين، مثل تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، و"الفوائد في مشكل القرآن"، للعز بن عبد السلام، و" تفسير آيات أشكلت"، لابن تيمية، مع عدم إغفال ما ألف مختصة بنوع من أنواع المشكل الأخرى، مثل: "مشكل إعراب القرآن"، و"التفسير المشكل من غريب القرآن" وكلاهما لمكي بن أبي طالب القيسي، و"دفع إيهام الاضطراب" للشنقيطي.

ويلاحظ بجلاء أن استخدامهم لمصطلح "المشكل" عام يشمل كل إشكال يطرأ على الآية، سواء كان في اللفظ أم في المعنى، أم توهم تعارض، أم في الإعراب، أم في القراءات.

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص١٣٨.

أ/ الإشكال المتعلق باللفظ

ففي المشكل اللفظي نجد عدداً من المفسرين استخدم مصطلح "المشكل" لإظهار غرابة اللفظ وخفاء معناه، من هؤلاء على سبيل المثال:

١- الطبري في تفسيره "جامع البيان"، حيث توقف عند تفسير قوله تعالى { **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** }[١] وقال عن لفظة "القرء": "ولما وصفنا من معنى "القرء" أشكل تأويل قول الله: { **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** } على أهل التأويل[٢] ، حيث سبق أن توقف عند كلمة "قرء"، وبين أقوال أهل العلم في معناها

٢- مكي بن أبي طالب، حيث سمى كتابه " تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم" ويظهر من اسم الكتاب أن الغريب نوع من المشكل عنده.

٣- ابن الجوزي في كتابه "زاد المسير"، وذلك عند قوله تعالى { **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا** }[٣] ، حيث يقول: "وقد سبق معنى "الآية" و"الفئة"، وكل مشكل تركت شرحه، فإنك تجده فيما سبق"[٤] ، فابن الجوزي هنا عبر عن اللفظ الغريب بالمشكل.

ب- الإشكال المتعلق بالمعنى:

المشكل من جهة المعنى، فالمسرون يكثرون من استعمال مصطلح "المشكل"، منهم على سبيل المثال:

١- **ابن قتيبة في كتابه:** " تأويل مشكل القرآن" حيث إن كثير من مواطن الكتاب هي في بيان ما أشكل من المعاني.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٢) جامع البيان، ٥١٢/٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

(٤) زاد المسير، ٣٥٦/١.

٢- **الطبري في تفسيره "جامع البيان"**، حيث بيّن معنى قوله تعالى: { **فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** }[١] ثم قال: فإن أشكل ما قلنا من ذلك على بعض الناس فقال: فما وجه الإصلاح حينئذ، والإصلاح إنما يكون بين المختلفين في الشيء؟ قيل:... [٢]، ثم أخذ يفصل في معنى الآية.

٣- **أبو حيان في "البحر المحيط"** حيث توقف عند تفسير قوله تعالى: { **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** }[٣] وبعد أن نقل كلاماً عن الزمخشري فيه أنه استشكل الآية، قال أبو حيان: "وإنما أشكل عنده لأن التقدير يصير: إلا في كتاب فيعزب، وهذا كلام لا يصح، وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره: لكن هو في كتاب مبين[٤] ويزول بهذا التقدير الإشكال[٥]

ج- الإشكال المتعلق بتوهم التعارض:

أما المشكل المتعلق بتوهم التعارض، فهو وارد كذلك في كتبهم، فمن ذلك على سبيل المثال:

١- عقد ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" بابا أسماه: باب التناقض والاختلاف[٦]، ذكر فيه بعض ما يظن فيه تناقض واختلاف وأجاب عنه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٢.

(٢) جامع البيان، ٤٠٤/٣.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٤) التبيان في إعراب القرآن، للكعبري، ٦٧٩/٢.

(٥) البحر المحيط، ١٧٤/٥.

(٦) تأويل مشكل القرآن، ص٧٥.

٢- ما ذكره الطبري في تفسيره "جامع البيان" عند قوله تعالى: { **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّـهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ** }[١] حيث يقول: "فإن أشكل على امرئ قول الله جل ثناؤه: { **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** }[٢] فظن أنه مخالفة معناه معنى قوله: { **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّـهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ** }[٣].

ثم أخذ يبين وجه الإشكال والجواب عنه، والمتأمل في كلامه يرى أنه يعد الاختلاف نوع إشكال عند من يظنه واقعاً بين الآيات.

٣- ما ذكره الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" وذلك حين قال: "ظاهر قوله تعالى: { **قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** }[٤] يدل على أن الأنبياء لا يشهدون لأممهم، والجمع بين هذا وبين قوله تعالى: { **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً** }[٥] مشكل[٦]، ثم شرع في بيان الجواب عن هذا الإشكال.

د- الإشكال المتعلق بالإعراب:

ورد عند كثير من المفسرين استخدام لفظ المشكل عند توقفهم في إعراب بعض الآيات، منهم على سبيل المثال:

١- مكي بن أبي طالب، حيث سمى كتابه "مشكل إعراب القرآن" وقد ذكر في مقدمته ما يبين أهمية دفع الإشكال المتعلق بالإعراب، حيث يقول: "إذ بمعرفة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٦) جامع البيان.

حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد"[١] .

٢- العز بن عبد السلام في كتابه "فوائد في مشكل القرآن" ونص كلامه: قوله عز وجل: { **قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي** }[٢] مشكل، لأن المشركين قالوا: افترى القرآن، فهذا يقتضي أن يكون "افتريته" ماضياً على بابه، لكن أئمة العربية أجمعوا على أن الشرط لا يكون إلا مستقبلاً، فإن كان المراد المضى أخل بالشرط، وإن كان الاستقبال أخل بالجواب، إذ لا يكون مطابقة، والجواب:... [٣] ، ثم أخذ في تفصيل الجواب وبيانه.

٣- ومن ذلك ما ذكره أبو حيان في "البحر المحيط" عند تفسير لقوله تعالى: { **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**}[٤] ، حيث يقول: "وامتنع آزر من الصرف للعلمية والعجمة، وقيل: هو صفة، قال الفراء: بمعنى المعوج، وقال الزجاج: بمعنى المخطئ، وقال الضحاك: الشيخ الهرم بالفارسية، وإذا كان صفة أشكل منع صرفه ووصفه المعرفة به وهو نكرة[٥] نكرة[٦] .

هـ- الإشكال المتعلق بالقراءات:

كما استخدم بعض المفسرين مصطلح المشكل عند تعرضهم للقراءات، من ذلك على سبيل المثال :

---

(١) مفاتيح الغيب، ١٠١/١٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٣٥.

(٣) فرائد في مشكل القرآن، ص١٣٨، ١٣٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية:٧٤.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة، رقم الحديث: ٢٤١٢، ومسلم في كتاب الفضائل، فضائل موسى، رقم الحديث: ٣١.

(٦) البحر المحيط، ١٦٤/٤، الجامع لأحكام القرآن، ٢٦١/٣.

١- **ما ذكره الزمخشري في تفسيره "الكشاف"** عند تفسير قوله تعال: { **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**}[١] ، حيث قال: "وقرأ الأعمش: " ولا يغوثا ويعوقا" بالصرف، وهذه قراءة مشكلة، لأنهما إن كانا عربيين أو أعجميين ففيهما سببا منع الصرف: إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة"[٢] .

٢- و**من ذلك أيضا، ما ذكره العز بن عبد السلام في كتابه "فوائد في مشكل القرآن" حيث يقول:** قوله عز وجل: { **وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** }[٣] بضم التاء مشكل، لأنه: لا أحد يرجع إلى الله[٤] .

٣- ومنهم ابن تيمية عند تفسيره لقوله تعالى { **وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ** }[٥] وذلك في كتابه "تفسير آيات أشكلت" حيث يقول: "وفي (أنها) قراءتان، فقراءة النصب أحسن القراءتين، وهي التي أشكلت على كثير من أهل العربية[٦] .

٢- **النوع الثاني:** الكتب الموسوعية الجامعة العلوم القرآن الكريم، ولعل أبرز ما ينبغي التعريج عليه في هذا المجال: كتاب الزركشي "البرهان في علوم القرآن"،

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٣.

(٢) فتح القدير، ٢٣٦/٢، وقد نقل الشوكاني كلام الزجاج بالمعنى، انظر: معاني القرآن، للزجاج ٢٩٦/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٤) تفسير آيات أشكلت ١٣٥/١٠-١٣٦ ، والنصب قراءة ابن نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وأبى جعفر، وبكسر الألف، قراءة أبى عمر ويعقوب وشعبة عن عاصم، انظر: المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران، ص١٧٣، والنشر في القراءات العشر، ٢٥١/٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

(٦) الكشاف، ٦١٩/٤، وهي قراءة شاذة، انظر: القراءات الشاذة، لابن خالوية، ص١٦٢، وإعراب القراءات الشواذ، للعكبري، ٦٢٣/٢.

وكتاب السيوطي "الإتقان في علوم القرآن"، وكتاب ابن عقيلة المكي "الزيادة والإحسان في علوم القرآن".

يقول الزركشي في النوع الخامس والثلاثين: معرفة موهم المختلفة، ثم عرف هذا النوع فقال: " وهو ما يوهم التعارض بين آياته"[١] .

ويقول السيوطي في النوع الثامن والأربعين: "مشكلة وموهم الاختلاف والتناقض"، ثم قال: "والمراد به: ما يوهم التعارض بين الآيات"[٢] .

وكان ابن عقيلة قد عرف المشكل في أثناء حديثه عن النوع المائة: علم نصه ومشكله، حيث قال: "وأما المشكل: فهو ما أشكل معناه على السامع ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل آخر[٣] .

وهذا التعريف يؤيده استخدام المفسرين لمصطلح المشكل كما سبق بيانه مفصلاً.

ومما سبق نستخلص أن المقصود بالمشكل عند علماء التفسير وعلوم القرآن، هو: الآيات التي التبس معناها واشتبه فلم يعرف المراد منها عند كثير من المفسرين.

**

(١) البرهان في علوم القرآن، ١٧٦/٢.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٧٢٤/٢.

(٣) الزيادة والإحسان، ٨٦٠/٣.

المبحث الثاني

وجود مشكل القرآن الكريم

بعد أن اتضح المرد من كلمتي "مشكل" و"القرآن"، كل على حدة، ومن خلال ما سبق يمكن تعريف مشكل القرآن الكريم بأنه: " الآيات القرآنية التي التبس معناها واشتبه على كثير من المفسرين، فلم يعرف المراد منها إلا بالطلب والتأمل".

وجود المشكل في القرآن الكريم:

ينبغي أن يعلم أن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله[١] ، ولا قال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول الله ﷺ ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه[٢] .

وما ينبغي معرفته كذلك أن الإشكال لا يكون في أصل الآيات، وإنما هو متعلق بفهم القارئ لهذه الآيات، فهو أمر نسبي، فعلى هذا لا مانع من وجود المشكل في القرآن الكريم.

أ- الاستدلال على وجود المشكل في القرآن من القرآن:

ورد وصف القرآن الكريم بأنه محكم في قوله تعالى: { **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ** }[٣] بمعنى أنه في غاية الإحكام وقوة الاتساق، فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره كلها خير وهدى وبركة وصلاح، ونواهيه عن كل ما يعود على الإنسان بالشرور، والضرر، فهذا إحكامه.

---

(١) وكونهم لا يمتنعون، لا يقتضي أنهم يميلون السائل إلى من هو أعلم منهم، أو يتوقفون عن التفسير تورعاً من الخطأ، فلنتنبه لذلك.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٣/٢٨٥.

(٣) سورة هود، الآية:: ١.

ورد وصف القرآن بأنه متشابه في قوله تعالى { **كِتَاباً مُتَشَابِهاً** }[١] بمعنى أنه متشابه في الحسن والصدق والهدى والحق، وهذا التشابه المثبت هو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله تعالى: { **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** }[٢] .

وورد أيضاً أن من القرآن ما هو محكم ومنه ما هو متشابه في قوله تعالى: {**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**}[٣] ، وقد اختلف أهل العلم في هذا الإحكام الخاص والتشابه الخاص الوارد في هذه الآية[٤] .

وقد ربط كثير من أهل العلم بين المتشابه والمشكل، وهذه بعض عباراتهم:

يقول ابن قتيبة: "ثم قد يقال لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة التشبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور: متشابه، وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها والتباسها بها. ومثل المتشابه: المشكل، وسمى مشكلاً: لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فاشتبه وشاكله. ثم قد يقال لما غمض –وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة– مشكل[٥] .

ويقول القاضي أبو يعلي: "وأما المتشابه فهو: المشتبه المحتمل الذي يحتاج في معرفة معناه إلى تأمل وتفكر وتدبر وقرائن تبينه وتزيل إشكاله"[٦] .

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٧٤/٦، وما بعدها، ومجموع الفتاوى لابن تيمية، ٤١٨/١٧، وما بعدها، والبحر المحيط للزركشي، ١٨٨/٢.
(٥) تأويل مشكل القرآن، ص١٠٢.
(٦) العدة في أول الفقه، ١٥٢/١.

ويقول الباجي: "المتشابه: هو المشكل الذي يحتاج في فهم المراد به إلى تفكر وتأمل"[١] .

ويقول ابن تيمية: "ولهذا كان السلف رضى الله تعالى عنهم يسمون ما أشكل على بعض الناس حتى فهم منه غير المراد: متشابها"[٢] .

ويقول الشاطبي: "ومعنى المتشابه: ما أشكل معناه، ولم يبين مغزاه"[٣] .

ويقول الزركشي: "والمتشابه مثل المشكل؛ لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره وشاكله"[٤].

ومما سبق، يتبين وجه الاستدلال من الآية على وجود المشكل، فحيث ثبت وجود المتشابه، فوجود الإشكال معه، إلا أنه يجب التنبيه إلى قضية مهمة أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية، أنقلها بحروفها، حيث يقول: "وإنما يجوز أن يقال في بعض الآيات أنه مشكل ومتشابه إذا ظن أنه يخالف غيره من الآيات المحكمة البينة، فإذا جاءت نصوص بينة محكمة بأمر، وجاء نص آخر يظن أن ظاهره يخالف ذلك، يقال في هذا أنه يرد المتشابه إلى المحكم، أما إذا نطق الكتاب أو السنة بمعنى واحد لم يجز أن يجعل ما يضاد ذلك المعنى هو الأصل، ويجعل ما في القرآن والسنة مشكلاً متشابهة، فلا يقبل ما دل عليه.

قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها، فتكون مشكلة بالنسبة إليهم لعجز فهمهم عن معانيها، ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل والحس إلا وفي القرآن بيان معناه، فإن القرآن جعله الله شفاء لما في الصدور، وبياناً للناس، فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك، لكن قد تخفي آثار الرسالة في بعض الأمكنة والأزمنة حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول، إما أن لا

---

(١) أحكام الفصول في أحكام الأصول، ١/١٧٦.
(٢) نقض أساس النقص ، مخطوط، الجزء الثاني، ص ٤٩٥.
(٣) الاعتصام، ٢/٧٣٦.
(٤) البرهان في علوم القرآن، ٢/٢٠٠.

يعرفوا اللفظ، وإما أن يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه، فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة[١] .

وعلى هذا فلا يصح إدخال أسماء الله تعالى وصفاته في المتشابه أو المشكل، إلا إذا اعتبرت الكيفية، إذ ليست من المتشابه أو المشكل باعتبار المعنى[٢] .

ب- وقوع الإشكال للصحابة في عهد النبي ﷺ:

وهذا مما يستدل به أيضاً على وجود المشكل في القرآن الكريم، فقد كانت بعض آيات القرآن الكريم تشكل على بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وكان النبي ﷺ يدفع عنهم هذا الإشكال، وسأكتفي بسرد ثلاث أحاديث من هذا الباب، للإيضاح والبيان فقط، وإلا فإن الأحاديث في هذا الموضوع أكثر مما ذكرت، فمن ذلك:

أولاً: ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عدي بن حاتم ﷺ قال: لما نزلت:{ **حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ** }[٣] عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: "إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار"[٤] .

ثانياً: ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت{ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** }[٥] شق ذلك على المسلمين،

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٠٧/١٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٨٠/١٧ وما بعدها، ومذكرة أصول الفقه للشنقيطي، ص١١٨، وأصول في التفسير، ص٤١، للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا... }، حديث رقم ١٩١٦

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسعموا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: { **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** }[1] .

رابعاً: ما أخرجه الترمذي وغيره من حديث عائشة – رضى الله عنها– قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: { **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** }[2] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم: {**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**}[3] .

**

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

المبحث الثالث

أهمية دراسة علم المشكل القرآني

معرفة المشكل من آيات القرآن الكريم، وطرق دفع هذا الإشكال مهمة للغاية، وتنبع هذه الأهمية من:

أ- أن الإشكال الطارئ على قارئ القرآن يحول بينه وبين التدبر للآيات، وقد أمر الله بتدبر القرآن فقال تعالى: { **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** }(١).

ب-سبيل إلى زيادة الإيمان، إذ تطمئن النفس إلى معاني كتاب الله تعالى، وأنها حق لا اختلاف فيها ولا تضاد، وكفي بعلم شرفاً يزداد صاحبه به إيماناً .

ت-رد على الزنادقة، كما فعل الإمام أحمد في كتابه "الرد على الزنادقة والجهمية"، حيث قام في صدر كتابه هذا بالجمع والتأليف بين آيات ادعى عليها هؤلاء الزنادقة التعارض، وكذلك فعل ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، حيث يقول: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وبأفهام كليلة، وأبصار عليلة ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبيله(٢) ، واقتفى أثرهم أبو الحسين الملطي في كتابه "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع" فقال: "هلكت الزنادقة، وشكوا في القرآن، حتى زعموا أن بعضه ينقض بعضاً في تفسير الآي المتشابه كذب وافتراء على الله جل جلاله من جهلهم بالتفسير لآي المحكم، إلى أن قال: فمن طلب علم ما أشكل عليه من ذلك عند أهل العلم به من ثقات العلماء وجد مطلبه"(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص٢٢.

(٣) التشبيه والرد على الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي، ص٧٠.

ث-كما أن في دراسة هذا العلم إظهار لجانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، ففي دفع الإشكالات إظهار لدقائق المعاني وحكم التشريع، وبيان لفصاحة القرآن وبلاغته وإحكامه.

ج- سوف تظهر لوناً من ألوان جهاد العلماء، حملة الكتاب، كما ستعرف بهم وبمناهجهم ومؤلفاتهم في هذا المضمار[1].

فتعين لهذه الأسباب الاعتناء بهذا الباب ومحاولة جمع ما تشتت من مباحثه في كتب التفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه واللغة وغيرها، وتلك بغية الوصول إلى طريق واضح محدد المعالم يسلكه من يقع له استشكال لآي الكتاب العزيز.

**

(١) مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن محمد المنصور، ص٢٣-٢٤.

المبحث الرابع

أسباب وقوع المشكل في القرآن الكريم

أنزل الله –عز وجل– القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وكان هذا القرآن معجزة خالدة للنبي محمد ﷺ، كلفه الله تعالى أن يبلغه للناس جميعاً، كما قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** }(١) .

وأمر عباده بتدبر القرآن في قوله تعالى: { **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** }(٢) ، وقال تعالى: { **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** }(٣) .

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم – كما تقدم – يسألون النبيﷺ عن الآيات التي تشكل عليهم، وذلك فيما يبدو نتيجة لتحقيق الأمر الإلهي بالتدبر لكتابه الكريم، ثم جاء عصر التابعين، وكثر طرح الإشكالات عما كان عليه في عهد الصحابة، وكان ذلك محصلة طبيعية لكثرة الداخلين في الإسلام من غير العرب.

ومن المعلوم أن نزول القرآن الكريم بالعربية لا ينافي عالمية الرسالة، كما قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** }(٤) ، فلذلك كان الأمر بتدبر الكتاب الكريم عاما لجميع المكلفين، فلا ريب أن تتفاوت أفهامهم نحو آيات القرآن الكريم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة محمد، الآية: ٨٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

فلذلك كثر السؤال حول آيات الكتاب، رغبة في الاستجابة للأمر الإلهي بتدبر القرآن، وتنوعت هذه الأسئلة، فبعضها كان عن الألفاظ، وبعضها كان عن المعاني، وبعضها عن الإعراب، وبعضها في القراءات، وبعضها فيما أوهم التعارض.

ومع كثرة التدوين وشيوع التأليف، اهتم علماء الإسلام بهذا الموضوع اهتماماً بالغاً، وكان هذا الاهتمام مستمداً من مكانة القرآن الكريم في قلوب المسلمين، فكثرت المؤلفات في هذا الباب، واعتنى المفسرون لكتاب الله تعالى بطرق هذا الميدان، ومحاولة الإجابة عن كل إشكال يطرأ على قارئ الكتاب العزيز.

هناك سبب رئيس مشترك في كل الأسباب التي سأوردها، وهذا السبب يتعلق بالقارئ لكتاب الله تعالى، ألا وهو مقدار العلم والمعرفة، فبالعلم يتفاوت الناس في هذا الباب، ما بين مقل ومستكثر، وإلا فإن التدبر التام للقرآن الكريم كفيل بدفع الإشكال عن النفس، كيف لا يكون كذلك وقد وصف الله كتابه بقوله تعالى: { **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** }[1]، وقال تعالى: { **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** }[2].

ويحضرني في هذا الباب ما أورده ابن القيم رحمه الله حول قوله تعالى: { **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّـهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** }[3]، حيث يقول: "وقد أشكلت هذه الآية على كثير من الناس، وأورد اليهود والنصارى على المسلمين فيها إيراداً وقالوا: كان في شك فأمر أن يسألنا، وليس فيها بحمد الله إشكال، وإنما أتى أشباه الأنعام من سوء قصدهم وقلة فهمهم، وإلا فالآية من أعلام نبوته ﷺ، وليس في الآية ما يدل على وقوع الشك ولا السؤال أصلاً، فإن الشرط لا يدل على وقوع المشروط، بل ولا على إمكانه[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.
(٣) سورة يونس، الآية ٩٤.
(٤) أحكام أهل الذمة، ٩٩/١.

ويقول ابن تيمية: "نعم، قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعني بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب[١] ، وتتمثل هذه الأسباب فيما يلي:

١- اعتقاد أمر مخالف للكتاب والسنة:

وهذا السبب واقع عند أهل البدع، حيث ابتدعوا بعض الاعتقادات وجعلوها هي الأصل، ثم نظروا في الكتاب والسنة، فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه، وإلا قالوا: هذا من المشكل والمتشابه فجعلوا بدعهم أصلاً، وما خالفها مشكلاً، ولو كان مما جاء به من الكتاب والسنة[٢].

يقول ابن تيمية: " ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه، غير ما يجعل الفريق الآخر مشكلاً، فمنكر الصفات الخبرية الذي يقول: أنها لا تعلم بالعقل، يقول: نصوصها مشكلة متشابهة، بخلاف الصفات المعلومة بالعقل، عنده بعقله، فإنها عنده محكمة بينة.

وكذلك يقول من ينكر العلو والرؤية: نصوص هذه مشكلة.

ومنكر الصفات مطلقاً يجعل ما يثبتها مشكلاً دون ما يثبت أسماءه الحسنى، ومنكر معاني الأسماء يجعل نصوصها مشكلة.

ومنكر معاد الأبدان وما وصفت به الجنة والنار يجعل ذلك مشكلاً.

ومنكر القدر يجعل ما يثبت أن الله خالق كل شيء وما شاء كان مشكلاً، دون آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد، والخائض في القدر بالجبر يجعل نصوص الوعيد، بل نصوص الأمر والنهي مشكلة، فقد يستشكل كل فريق ما لا يستشكله غيره[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٧/٤٠٠.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٧/٣٠٦.
(٣) درة تعارض العقل والنقل، ١/١٦-١٧.

فوجود هذه البدع وأهلها أوجد هذه الطريقة الخاطئة في التعامل مع نصوص الكتاب والسنة، مما كان له أكبر الأثر في استشكال بعض ما جاء به الكتاب والسنة من مسائل العقيدة عموماً، وآيات الصفات خصوصاً.

يقول محمد الأمين الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ }[1] ، وهذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله: **{ يَدُ اللَّـهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ }**[2] ونحو ذلك، أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه، سبحانه وتعالى الله علواً كبيراً عن ذلك كله، والله جل جلاله أوضح هذا غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال[3]، ثم شرع في بيان المذهب الحق في آيات الصفات.

وبذلك يتبين أن كون الآية من آيات الصفات لا يجعلها موضع إشكال، ولا ينبغي وصفها بذلك، كما أنه ينبغي على الباحث النظر فيما يشكل عليه، والبحث عما يدفع عنه الإشكال، خصوصاً فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد، حيث قد ينشأ الإنسان على عقيدة ما، ثم يبدأ عرض نصوص الكتاب والسنة عليها، بينما كان الصواب أن يعرض عقيدته على نصوص الكتاب والسنة، فما وافقها فليحمد الله – عز وجل–، وما خالفهما فليرجع إليهما وفق فهم السلف الصالح، وليتهم نفسه وفهمه قبل استشكال شيء من آيات الكتاب ونصوص السنة.

٢– اختلاف الموضوع في الآيات:

وهو أن يتوهم القارئ اتحاد الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات، بينما الحق أن كل آية لها معناها ودلالتها الخاصة بها.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) أضواء البيان، ٣٠٤/٢.

وهذا الأمر يدعونا إلى التنبيه عند حدوث الإشكال بين الآيات بضرورة مراجعة ما كتبه أهل العلم في تفاسيرهم – خصوصاً المحققين منهم– واستخلاص أحسن الأجوبة وأقربها للصواب.

وكمثال على هذا النوع من الأسباب، أنقل ما ذكره الزركشي في قوله تعالى: **{فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً}**[1] مع قوله تعالى في أواخر السورة: **{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ }**[2]، فيظن بعض من يقرأ السورة أن الآية الأولى تفهم إمكان العدل، والثانية تنفيه.

بينما الصواب: أن الآية الأولى تتحدث عن موضوع يخالف موضوع الآية الأخرى، ولعل ما أوقع في هذا الإشكال ورود لفظ العدل فيهما، وكذلك كون الحديث فيهما عن النساء، وفي ذلك يقول الزركشي: والجواب: إن المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن، وهذا ممكن الوقوع وعدمه.

والمراد به في الثانية الميل القلبي، فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض، وقد كان ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك[3][4] .

٣- اختلاف الموضع والمكان للآيات:

ويقصد بهذا السبب أن قارئ القرآن الكريم قد يرسخ لديه أحد الأحكام أو المعاني عند قراءته لبعض الآيات، ثم يقرأ آيات أخرى فيظهر له حكم أو معنى يتوهم تعارضه مع ما سبق أن ترسخ لديه، فيستشكل الآية لذلك.

---

(١) سورة النساء، الآية:٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(٣) أخرجه من حديث عائشة، أبو داود في كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء ورقم الحديث ٢١٣٤، والترمذي في أبواب النكاح كذلك، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، ورقم الحديث ١١٤٠، وقال الترمذي: حديث عائشة هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي فلاية عن عبد الله بن يزيد عن عائشة أن النبي كان يقسم، ورواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قردة مرسلاً أن النبي ﷺ كان يقسم، وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة، ورجح الإرسال كذلك الألباني، رحمه الله، في إرواء العليل، ٢٠١٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن، ١٨٧/٢.

بينما الحق أن الآية أو الآيات الأولى تتحدث عن الموضوع ذاته، ولكن موضعها ومكانها تختلف عن موضع ومكان الآية أو الآيات الأخرى.

ومن الأمثلة الواضحة على هذا ما ورد عند بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: { **وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً** }[1].

يقول ابن جرير الطبري –رحمه الله تعالى– فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عمياً وبكماً وصماً، وقد قال: { **وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا** }[2] فأخبر أنهم يرون، وقال: { **إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً** }[3]، فأخبر أنهم يسمعون وينطقون، قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماعًا وأبصارًا ومنطقًا في أحوال أخر غير حال الحشر[4] .

وبذلك يتبين أنه يجدر بقارئ القرآن الكريم أن يتنبه ويتذكر أن من أسباب وقوع الإشكال عدم العلم بما تدل عليه الآية أو الآيات التي يوهم ظاهرها مخالفته لآية أو آيات أخرى، بينما الحق أن الأولى لها موضع ومكان يخالف موضع ومكان الأخرى، ويظهر له بذلك أنه لا إشكال ولا تعارض بين الآيات.

٦– تعدد القراءات القرآنية في الآية:

تعرف القراءات بأنها: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزوة لناقله[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الفرقان، الآية ١٢–١٣.
(٤) جامع البيان، ١٦٧/١٥.
(٥) منجد المقربين، لابن الجزري، ص٤٩.

واختلاف القراءات لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ، والمعنى واحد.

والثاني: اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً، مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد، لعدم تضاد اجتماعهما فيه.

والثالث: اختلاف اللفظ والمعنى، مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد، لاستحالة اجتماعهما فيه(١)

وهذا النوع الثالث هو ما يهمنا في هذه الدراسة، وهو مثار الإشكال عند بعض المفسرين.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك، ما ورد في قوله تعالى: { **بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ** }(٢) ، حيث قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء (بل عجبت ويسخرون)، وقرأ الباقون بفتحها(٣) .

وقد أشكلت قراءة الضم على الإمام المهدوي، حيث يقول: " ومن ضم التاء، فهي قراءة مشكلة، ثم بين رحمه الله وجه الإشكال باعتبار أنها تثبت العجب الله– عز وجل(٤) .

ويروى عن شرح الحضرمي المقرئ إنكاره لهذه القراءة، حيث يقول: "إن الله لا يعجب من شيء، وإنما يعجب من لا يعلم"(٥) .

يقول ابن جرير الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟

---

(١) انظر: الأحرف السبعة، لأبي عمرو الداني، ص٤٧.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٢.

(٣) انظر: المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران، ص٣١٥، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٣٥٦/٢.

(٤) شرح الهداية، ٤٨٨/٢.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٦٩/١٥.

قيل: إنهما وإن اختلف معناهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه"[1] .

ومن هذا يتبين أن اختلاف وتعدد القراءات كان مثاراً للإشكال عند بعض المفسرين، مما أدى إلى الإطالة في البيان والتوضيح، وعرض أقوال أهل العلم رغبة في دفع الإشكال[2] .

٧- توهم تعارض الآية أو الآيات مع الأحاديث النبوية:

وذلك أن قارئ القرآن الكريم قد يتوهم حين القراءة أن هذه الآية أو الآيات التي يقرؤها تتعارض مع حديث أو أحاديث يعرفها.

وباعتبار أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدر الأساسي للتشريع، فيلزم النظر وإعمال الفكر للوصول إلى التوجيه الصحيح والمعني السليم لهذا التعارض المتوهم.

ومن هذا الباب ما ورد في قوله تعالى: { **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** }[3] ، مع ما ورد عن النبي

---

(١) جامع البيان، ٤٣/٢٣.

(٢) ويدل على هذا أيضاً أن أحد الباحثين، وهو الطالب: عبد العزيز الحربي قدم بحثا لنيل درجة العالمية، الماجستير، بعنوان "توجيه مشكل القراءات العشرية القرشية لغة وتفسيراً وإعراباً لقسم الكتاب والسنة من كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى، لعام ١٤١٧هـ، وهي محاولة لدفع وتوجيه الإشكال في القراءات.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٢.

ﷺ لن يدخل أحدكم الجنة بعمله[1] ، فظاهر الحديث يخالف الآية، مما جعل أهل العلم يبحثون في وجه الجمع بينهما، ومنهم الإمام ابن قيم الجوزية حيث يقول: "ها هنا أمر يجب التنبيه عليه وهو: أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها، وإن كان سبباً .

ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله { **بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** }[2]، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في قوله: " لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله"، ولا يتنافى بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره، قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال، ويدل على هذا حديث أبي هريرة ﷺ، الله تعالى: "إن أهل الجنة إذا دخلوها، نزلوا فيها بفضل أعمالهم" رواه الترمذي[3]

والثاني: أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي هي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله.

وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله: سددوا وقاربوا وأبشروا، واعملوا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله"، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، أن يتغمدني

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرفاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم ٦٤٦٣ن، مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، حديث رقم ٢٨١٦ من حديث أبي هريرة ﷺ وسيأتي بلفظ مقارب بعد قليل من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، حديث رقم ٢٥٤٩، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

الله برحمته"[1][2]، وقد ذكر ابن تيمية نحوا من هذا الجمع، فقال: "ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب، ولهذا قال النبي ﷺ "إنه لا يدخل أحدكم الجنة بعمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل" وقد قال: { **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** }[3]، فهذه باء السبب، أي: بسبب أعمالكم، والذي نفاه النبيﷺ باء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا، أي: ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً في دخول الجنة، بل لابد من عفو الله وفضله ورحمته"[4] .

فالعمل سبب، ولذلك نفى الرسول ﷺ كونه يدخل الجنة بمفرده، وبين أن رحمة الله عز وجل هي التي تدخل العبد الجنة، نسأل الله تعالى رحمته وفضله.

ومن يتبين أن بعض أهل العلم قد يستشكل الآية أو الآيات إذا توهم تعارضها مع بعض الأحاديث، والحق أن هذا المبحث مانع وجميل ويستحق العناية به والاهتمام بموضوعاته، لأنه كان مثاراً للطعن في الشريعة من المستغربين والمستشرقين، على أن يتوفر فيمن يتصدى له مقومات العلم بالشريعة ومقاصدها.

**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم ٦٤٦٧، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، حديث رقم ٢٨١٨ من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، ص١٥٥-١٥٦، وراجع ما ذكره حجر العسقلاني في فتح الباري، ٢٩٥/١١، لمعرفة أوجه الجمع الأخرى بين الآية والحديث.

(٣) سورة النحل، الآية:٣٢.

(٤) مجموع الفتاوى، ٧٠/٨- ٧١.

المبحث الخامس

أنواع مشكل القرآن الكريم

لمشكل القرآن أنواع عديدة تندرج تحتها أسباب استشكال الآيات، ولئن كانت الأسباب هي منطلق الإشكال، فإن الأنواع هي أوصاف وأحكام على تلك الأسباب[١].

فعند الأسباب كان البحث عن السبب الذي يقود المفسر لاستشكال الآية، أما هنا فسيكون البحث وصفياً لذلك السبب، وضمناً له مع شبيه تحت نوع واحد لجامع بينهما، ولو كانا مختلفين أساساً.

١- ما يظن فيه تعارض واختلاف:

يعرف التعارض بأنه: التمانع بين الأدلة الشرعية مطلقاً، بحيث يقتضي أحدهما عدم ما يقتضيه الآخر[٢].

فعلى هذا يكون التعارض بين الأمرين: تقابلهما على وجه يمنع كل واحد منهما مقتضى صاحبه[٣].

والتعارض: هو التناقض، كما ذكره الغزالي[٤]، وتبعه ابن قدامة[٥].

أما الاختلاف، فنريد به هنا ما ورد في قوله تعالى { **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** }[٦] أي: لو كان هذا القرآن مفتعلاً مختلفاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم، لوجدوا فيه اضطرابًا وتضاداً

---

(١) انظر: أسباب اختلاف المفسرين، للدكتور محمد الشابع، ص٣٤.

(٢) انظر: التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية لعبد اللطيف البرزخي، ٢٣/١.

(٣) انظر: نهاية السول في شرح منهاج الوصول لجمال الدين الإسنوي، ٦٥٤/٢.

(٤) المستصفى من علم الأصول، الغزالي، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد، ٥٠٥هـ، ٢٣٢/٢.

(٥) روضة الناظر، ١٠٢٩/٣.

(٦) سورة النساء، الآية: ٨٢.

كثيراً، وهذا القرآن ليس كذلك فهو من عند الله، وقد أشار الشاطبي إلى أهمية هذا المعنى، فقال: إن الاختلاف بين المكلفين في بعض معانيه أو مسائله لا يستلزم أن يكون فيه نفسه اختلاف، فقد اختلفت الأمم في النبوات ولم يكن ذلك دليلاً على وقوع الاختلاف في نفس النبوات، واختلفت في مسائل كثيرة من علوم التوحيد، ولم يكن اختلافهم دليلاً على وقوع الاختلاف فيما اختلفوا فيه، فكذلك ما نحن فيه، فكذلك ما نحن فيه، وإذا ثبت هذا، صح منه أن القرآن في نفسه لا اختلاف فيه[1].

وقد ذكر المفسرون عند تفسيرهم لآية سورة النساء في معنى الاختلاف أقوالاً ثلاثة[2] :

الأول: أنه التناقض، وهو قول ابن عباس، وقتادة، وابن زيد.

الثاني: أنه اختلاف تفاوت من جهة بليغ من الكلام، ومرذول، إذ لابد للكلام إذا طال من مرذول، وليس في القرآن إلا بليغ، ونسب الماوردي هذا القول لبعض البصريين.

الثالث: اختلافه مع أحوالهم، إذ كان يصف ما في قلوبهم وصف المطلع على الغيوب، والغيب لا يعلمه إلا الله، وهذا من آيات النبي ﷺ وهذا قول الزجاج.

والآية تحمل كل هذه المعاني المذكورة، فهي من باب اختلاف التنوع، فكل ما ذكر من المعاني يصح نفيه عن القرآن.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لقد جلست أنا وأخي مجلس ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله

---

(١) الاعتصام، للشاطبي، ٣٨١/٣.

(٢) جامع البيان، للطبري، ٥٦٧/٨، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ٨٢/٢، والنكت والعيون، للماوردي، ٥١٠/١، وزاد المسير لابن الجوزي، ١٤٤/٢، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٣٨/٣.

ﷺ عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة[١] إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: "مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه[٢] .

يقول ابن تيمية: "فهذا الحديث ونحوه، مما ينهى فيه عن معاوضة حق بحق، فإن ذلك يقتضي التكذيب بأحد الحقين، أو الاشتباه والحيرة، والواجب التصديق بهذا الحق وهذا الحق[٣] .

ويقول الشاطبي: لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مهيع[٤] واحد، ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أداه بادي الرأي إلى ظاهر اختلاف، فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف، لأن الله تعالى قد شهد أن لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع أو المسلم من غير اعتراض إن كان الموضع ما يتعلق به حكم عملي، فإن تعلق به حكم عملي التمس المخرج حتى يقف على الحق اليقين، أو يبقى باحثاً إلى الموت، فلا عليه من ذلك، فإذا اتضح له المغزى، وتبينت الواضحة، فلابد له من أن يجعلها حاكمة في كل ما يعرض له في النظر فيها،

---

(١) أشار ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٤٢/١، إلى أن معناها: ناحية مفردة، وأنها بفتح الحاء وسكون الجيم، فيكون المعنى أنهم جلسوا ناحية منفردين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٦٧٠٢ ، وصححه محقق الكتاب، طبع مؤسسة الرسالة.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ٤٠٤/٨.

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب، (هيع) بلد مهيع، واسع وفي حديث على ﷺ اتقوا البدع والزموا المهيع، هو الطويل الواسط المنبسط، فكان يقول: إن نصوص الكتاب والسنة تجري على طريق واسع منبسط، لا تضاد بينها ولا اختلاف.

فيضعها نصب عينيه في كل مطلب ديني كما فعل من تقدمنا ممن أثنى الله ورسوله عليهم"[1] .

وفي قصة ابن عباس رضى الله عنهما مع نافع بن الأزرق بعد أن بين له ما اختلف عليه من الآيات، قال له ابن عباس: "احفظ عنى ما حدثتك، واعلم أن ما اختلف عليك من القرآن أشباه ما حدثتك، فإن الله لم ينزل شيئاً إلا وقد أصاب به الذي أراده، ولكن الناس لا يعلمون، فلا يختلفن عليك القرآن، فإن كلاًّ من عند الله عز وجل[2] .

ومع تضافر الأدلة الشرعية على هذا الأصل العظيم، أنه لا تعارض ولا اختلاف بين أدلة الكتاب، فإن الأدلة العقلية تثبت ذلك من وجوه[3]:

الأول: أن القول بتعارض الأدلة في نفس الأمر في ذات القرآن، فيه إثبات العجز والجهل:

العجز عن إقامة أدلة خالية من التعارض والاختلاف.

الجهل بعواقب الأمور، وما ستؤول إليه.

وكل هذا مما يجب تنزيه الله عز وجل عنه عقلاً وشرعاً.

الثاني: أن الشريعة إنما نزلت لرفع الخلاف بين الناس، فلو كان فيها ما يقتضي الاختلاف والتعارض لم يكن في إزالتها إلا الفتنة، ولكان ترك الناس من غير شريعة أولى وأسلم، وهذا لا بقوله عاقل يعرف حكمة الرب تعالى ورحمته ولطفه بالناس.

---

(١) الاعتصام، الشاطبي، ٣/٣٨٢-٣٨٣.

(٢) أصل القصة في صحيح البخاري بكتاب التفسير، سورة حم السجدة "فصلت"، وساق البخار كلام ابن عباس مختصراً، واللفظ الذي أوردته ذكره الخطيب البغدادي في كتابه، الفقيه والمتفقه، ١/٢٠٨.

(٣) انظر: الموافقات، ٥/٥٩، وما بعدها، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، ١/٣٤٤- ٣٤٥.

الثالث: أن عامة أهل الشريعة أثبتوا في القرآن الكريم الناسخ والمنسوخ، على الجملة، وحذروا من الجهل به والخطأ فيه، ومعلوم أن الناسخ والمنسوخ إنما هو فيما بين دليلين يتعارضان، بحيث لا يصح اجتماعمها بحال، وإلا لما كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً، والفرض خلافه، فلو كان الاختلاف من الدين لما كان لإثبات الناسخ والمنسوخ من غير نص قاطع فيه فائدة، ولكان الكلام في ذلك كلاماً فيما لا يجني ثمرة، إذا كان يصح العمل بكل واحد منهما ابتداء ودواماً، استناداً على أن الاختلاف أصل من أصول الدين لكن هذا كله باطل بإجماع، فدل على أن الاختلاف لا أصل له في الشريعة.

الرابع: أن القول بوقوع التعارض والاختلاف بين الأدلة الشرعية، لا يخلو من أحد احتمالات أربعة كلها باطلة:

١- العمل بالدليلين، ويلزم منه اجتماع المتناقضين، وهو باطل، لأنه تكليف بما لا يطاق.

٢- ترك العمل بهما، ويلزم منه أن الشارع الحكيم نصبهما عبثاً ولغواً، أو يلزم منه خلو المسألة عن الحكم، وكل ذلك ظاهر البطلان.

٣- العمل بأحدهما دون الآخر على سبيل التعيين، وهو تحكم بلا ترجيح، وقول في الدين بالتشهي والهوى.

٤- العمل بواحد منهما غير معين، على سبل التخيير، وهذا يستلزم جواز الفعل والترك لكل من الدليلين، مع أن كل واحد منهما يقتضي نقيض ما يقتضيه الآخر.

الخامس: أن الأصوليين اتفقوا على إثبات الترجيح بين الأدلة المتعارضة، إذا لم يمكن الجمع، وأنه لا يصح إعمال أحد دليلين متعارضين جزافاً من غير نظر في ترجيحه على الآخر، والقول بثبوت الاختلاف في الشريعة يرفع باب الترجيح جملة، إذ لا فائدة فيه، ولا حاجة إلى على فرض ثبوت الاختلاف أصلاً شرعياً، لصحة وقوع التعارض في الشريعة، لكن هذا القول فاسد أصلاً، فما أذى إليه مثله في الفساد.

والأسباب التي ينتظمها هذا النوع، وهي:

أولاً: توهم تعارض آية أو آيات مع آية أو آيات أخرى، ومنه:

١- اختلاف الموضوع في الآيات.

٢- اختلاف الموضع والمكان للآيات.

٣- وقوع المخبر به على أحوال مختلفة.

٤- اختلاف جهة الفعل.

٥- احتمال الإحكام أو النسخ الثلاثة.

ثانياً: توهم تعارض الآية أو الآيات مع الأحاديث النبوية.

ثالثاً: توهم استحالة المعنى.

٢- المشكل للتشابه:

يرد عند كثير من المفسرين وصف الآية بأنها من المتشابه ويريدون بذلك أن الآية من المشكل، فما وجه الارتباط بين المشكل والمتشابه؟

وللإجابة عن هذا السؤال لابد من تعريف المتشابه في اللغة والاصطلاح، حتى يتضح وجه العلاقة بين المشكل والمتشابه عند الحديث عنهما.

يقول ابن فارس في مادة (شبه)، الشين والباء والماء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال: شبه وشبه وشبيه، والشبه من الجواهر: الذي يشبه الذهب والمشتبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران: إذا أشكلا، وما شذ عن ذلك الشبهان[(١)(٢)].

هذا كل ما أورده ابن فارس في مادة (شبه) وهو يبرز لنا هنا معنيين:

الأول: التماثل والتشاكل.

والثاني: المشكل.

---

(١) الشبهان قال في اللسان لمادة شبه، ٤/٢١٩٠، الشبهان بشبه

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣/٢٤٣.

ومن الأول قوله تعالى: { **وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** }[١] .

قال ابن كثير في قوله: { **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** }: أي: أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد، والعتو، كما قال تعالى: { **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** }[٢] .

ومن الثاني قوله تعالى: { **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ** }[٣] .

أي أن الأمر أشكل عليهم لكثرة من يتصف من البقر بالعوان الصفراء الفاقعة[٤] .

وقد لفت نظري قول ابن فارس: "المشتبهات من الأمور: المشكلات[٥]، بينما قال الفيروزأبادي في القاموس: "وأمور مشتبهة ومشبهة كمعظمة: مشكلة"[٦] ، وقال ابن منظور في لسان العرب، المشتبهات من الأمور: المشكلات[٧] ، فهذه ثلاث لغات، أشار إليها أيضاً عبد السلام هارون محقق "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، ثم وجدت الخليل بن أحمد ذكر لغة رابعة: "المشتبهات من الأمور:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٢-٥٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٠.

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ص١٠٥، من الطبعة ذات المجلد الواحد.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ص١٩٢، من الطبعة ذات المجلد الواحد.

(٦) القاموس، المحيط، مادة شبه، ص١٦١٠.

(٧) مجمل اللغة، لابن فارس، ٢٤٣/٣.

المشكلات"[١]، هكذا ضبطت في كتاب: العين، ولا أدري هل هي لغة أو خطأ في الضبط.

والمتشابه والمشتبه بمعنى، قال الفيروزأبادي في القاموس: وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا[٢] ، وقال الزبيدي في تاج العروس بعد كلام صاحب القاموس: ومنه قوله تعالى: { **مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ** }[٣].

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: "واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لاشباه بعضها بعضا"[٤] .

وقال عند تفسيره لقوله تعالى: { **مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ** }[٥] يقال: اشتبه الشيئان وتشابها، كقولك استويا وتساويا، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً وقرئ: { **مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ** }[٦] ، وتقديره: والزيتون متشابهاً وغير متشابه، والرمان كذلك[٧].

وقال ابن عاشور: والتشابه والاشتباه مترادفان كالتساوي والاستواء[٨].

يتضح مما سبق أن التشابه في الأصل بمعنى التماثل، وأنه يكون بين الأشياء، وهذا هو أصل المادة في لسان العرب، كما يتضح أنه إنما يستعمل في الأمور إذا أشبهت بعضها بعضاً حتى التبست ولم يفرق بينها[٩].

---

(١) لسان العرب، مادة الشبه، ٢١٨٩/٤.

(٢) القاموس المحيط، مادة شبه، ص١٦١٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٤) لسان البلاغة، ص٢٢٨.

(٥) أساس البلاغة، ص٢٢٨.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٧) الكشاف، للزمخشري، ٥٢/٢.

(٨) التحرير والتنوير، ٤٠٢/٤.

(٩) متشابه القرآن، دراسة موضوعية، د/ عدنان زروق، ص١٦.

قال ابن قتيبة: ثم قد يقال لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور: متشابه، وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها، والتباسها بها.

ومثل المتشابه المشكل، وسمى مشكلاً: أنه أشكل أي: دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله، ثم قد يقال لما غمص وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة – مشكل وبذلك نستطيع أن نقول:

- التشابه إذا كان بين الأشياء، يراد به التماثل.
- التشابه إذا كان في الأمور، يراد به التباسها.
- أن كل ما غمض ودق متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره.

- أن المشكل مثل المتشابه فيما سبق، فقد قال ابن فارس في معجم المقاييس اللغة، في مادة (شكل): الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، تقول هذا شكل هذا، أي مثله، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال: أمر مشتبه.

أما التعريف الاصطلاحي للمتشابه، فإن المصنفين في علوم القرآن يطلقون المتشابه على نوعين من العلوم:

١- المتشابه اللفظي .

٢- المتشابه المعنوي، وهذان النوعان يحتاجان لنوع بيان .

أ- **المتشابه اللفظي:**

ويراد به: الآيات القرآنية التي تحوي ألفاظاً متفقة في صور شتى[١]، والمصنفون في هذا النوع من أنواع علوم القرآن على اتجاهين:

---

(١) درة التنزيل، للخطيب الإسكافي، ت٤٢٠هـ، والبرهان في متشابه القرآن، للكرماني، ت:٥٠٠هـ، وملاك التأويل، لابن الزبير الثقفي الغرناطي، ت:٧٠٨هـ، وغيرها.

الاتجاه الأول: الاهتمام بمجرد السرد والتعداد للآيات القرآنية الداخلة في التعريف المختار، وخير الكتب التي تمثل هذا الاتجاه "متشابه القرآن" لأبي الحسن الكسائي[١]، ومنظومة السخاوي المشهورة[٢].

الاتجاه الثاني: لم يكن الهدف منه مجرد الجمع والسرد، بل كان يعني بتوجيه هذا التشابه والاتفاق اللفظي بجميع أنواعه، والكلام عليه والحكمة من وروده، والرد على بعض الفرق التي أخذت ذلك التشابه مجالاً للطعن في الكتاب العزيز.

ومن المؤلفات في هذا الاتجاه "درة التنزيل"، للخطيب الإسكافي، و"البرهان في متشابه القرآن" للكرماني، و"ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل "لابن الزبير الثقفي الغرناطي" وغيرها من المؤلفات[٣].

ب- المتشابه المعنوي:

وصف الله تعالى القرآن الكريم بالتشابه في قوله تعالى: { **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** }[٤] .

والمراد بالتشابه في هذا الموضع[٥] : التشابه في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأي

---

(١) طبع بتحقيق: د/ صبيح التميمي، ونشر كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، ليبيا، ط١، ١٤٠٢هـ.

(٢) هداية المرقاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، نظمها علم الدين أبو الحسن على بن محمد السخاوي، ت:٦٤٣هـ.

(٣) علوم القرآن بين البرهان والاتقان، دراسة مقارنة، حيدر، ص١٥١.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٥) انظر: تيسير الرحمن، للشيخ السعدي، ص٧٨٩.

من اتفاقه حتى في معانيه الغامضة ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم.

وهذا التشابه عام وصفت به جميع آيات الكتاب العزيز: { **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** }[1] .

وورد وصف الكتاب بأن منه المحكم ومنه المتشابه في قوله تعالى: { **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** }[2] .

وهذا التشابه متعلق ببعض آيات الكتاب، فلذلك يطلق عليه المتشابه الخاص، ومعناه مختلف –قطعاً– عن معنى المتشابه العام الوارد في آية الزمر، لأن التشابه فيها وصف لجميع الكتاب؛ بينما في آية آل عمران وصف لبعض الآيات بأنها متشابهة.

من هذا بدأ أهل العلم في البحث عن معنى التشابه الذي وصفت به بعض آيات الكتاب في آية آل عمران فتعددت أقوالهم.

وقد ذكر ابن جرير الطبري في ذلك خمسة أقوال[3] :

الأول: أن المتشابهات: المنسوخات، قال به ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما.

الثاني: أن المتشابه من آي الكتاب: ما أشبه بعضه بعضاً في المعاني، وإن اختلفت ألفاظه، وهو قول مجاهد.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ١/١٧٤– ١٨٠.

الثالث: أن المتشابه: ما احتمل من التأويل أوجها، وهو قول محمد بن جعفر بن الزبير.

الرابع: أن المتشابه: هو ما اشتبهت الألفاظ به من القصص عند التكرير في السور، بقصه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

الخامس: أن المتشابه: ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وهو قول جابر بن عبد الله بن رئاب.

هذه هي أصول الأقوال في معنى المتشابه، وزاد بعض المفسرين أقوالاً أخرى تعتبر من باب التمثيل لما ذكر من الأقوال، أو أنها تتدرج عند التحقيق تحتها[1].

**

(١) انظر: بعض الأقوال الأخرى في: النكت والعيون للماوردي، ١/٣٦٩- ٣٧٠، وزاد المسير لابن الجوزي، ١/٣٥١، ورسالة صغيرة بعنوان: معاني المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، للدكتور أحمد حسن فرحات، ص٣١-٧٦.

المبحث السادس

الآيات التي يوهم ظاهرها الإشكال في القرآن الكريم

أوردت الباحثة أقوال العلماء في الآيات التي توهم ظاهرها الإشكال في القرآن الكريم كما يلي:

أقوال ابن قتيبة كتابة تأويل مشكل القرآن:

دفع ابن قتيبة القراءات التي طعن بها الملحدون؛ لأن ظاهرها يوهم الإشكال في القرآن، ورد على مزاعمهم، وخرجها تخريجاً يبعدها عن دائرة الإشكال، ومن ذلك: " القراءة للفظ (ننجي) في قوله تعالى { **وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** }[١]، وقد قرأ الجمهور بنونين- على كتابتها في المصحف، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحده: (نُجّيْ) بنون واحدة وجيم مشددة وتسكين الياء على الفعل الماضي وإضمار المصدر وبناء الفعل للمجهول[٢] .

وقال ابن قتيبة عن هذه القراءة: كتبت في المصاحف بنون واحدة، وقرأها القراء جميعاً (ننجي) بنونين؛ إلا عاصم بن أبي النجود، فإنه كان يقرؤها بنون واحدة، ويخالف القراء جميعاً، ويرسل الياء فيها؛ على مثال: "فعل، فأما من قرأها بنونين، وخالف الكتاب، فإنه اعتل أن النون تخفى عند الجيم، فأسقطها كاتب المصحف؛ كأنه قال: "نجي النجاء المؤمنين" كما تقول "ضرب الضرب زيداً" ثم تضمر الضرب، فتقول: ضرب زيداً[٣] .

---

(١) حوار بين الحق والباطل، ولويل، كامل جميل، ط١، دار المأمون، عمان، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، ص٤٩.

(٢) التيسير في القراءات السبع، الداني، أبو عمر، "ت٤٤٤هـ"، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، مكتبة التابعين، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص٣٦٩.

(٣) منهج ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن وأثره في الدراسات القرآنية، الرباحنة، قادي محمود، دار دجلة، عمان، ٢٠١٢م، ص٤٢٦.

وترى الباحثة بأن الرد كاف على من يخطئون قراءة "نجي"؛ لأن القراءة متواترة ولا يصح الطعن فيها، ولئن قيل إنها تخالف قاعدة نحوية، إذ شهدت اللغة العربية بجواز ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتاب تأويل مشكل القرآن، في باب مشكل بعض الآيات، نذكر منها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر:

أ- قوله تعالى: { **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** }[1]، وذكر أن المشهور أن السيئة: (الشرك)، وقيل: (الكبيرة بموت عليها) قاله عكرمة، قال مجاهد: (هي الذنوب تحيط بالقلب)، قلت: قوله (سيئة) نكرة، وليس المراد جنس السيئات بالاتفاق، وأيضاً لفظ (السيئة) قد جاء في غير موضع مراداً به الشرك، وقوله (سيئة) أي: حال سيئة أو مكان سيئة ونحو ذلك، كما في قوله تعالى: { **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** }[2] أي: حالاً حسنة نعم الخير كله، وهذا اللفظ يكون صفة، وقد ينقل من الوصفية إلى الاسمية؛ ويستعمل لازماً أو متعدياً، يقال: ساء هذا الأمر، أي: فتح، ويقال: ساءني هذا، قال ابن عباس في قوله { **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا** }[3] أي: عملوا الشرك؛ لأنه وصفهم بهذا فقط، ولو آمنوا لكان لهم حسنات، وكذا لما قال: (كسب سيئة) لم يذكر حسنة، كقوله تعالى { **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى**}[4] ، أي: فعلوا الحسنى؛ وهو ما أمروا به، كذلك السيئة تتناول المحظور فيدخل فيها الشرك[5] .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١، ٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٥) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: سعد بن نجدت، عمر، ص٣٩٤-٣٩٥، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

ب- قوله تعالى: { **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ** }[١] تأويله: أن إبليس لما سأل الله تبارك وتعالي النظرة قال: { **وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً** } وليس هو في وقت هذه المقالة مستيقناً أن ما قدره الله يتم فيهم، وإنما قال ظاناً، فلما اتبعوه وأطاعوه، صدق ما ظنه عليهم أي فيهم، ثم قال: وما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم من يؤمن، أي المؤمنين من الشاكين[٢] .

- أقوال محمد الأمين الشنقيطي في كتابه دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

دفع الشنقيطي، عن الدلالات التي طعن بها الملحدون، لأن ظاهرها يوهم الإشكال في القرآن، ورد على مزاعمهم وخرجها تخريجاً يبعدها عن دائرة الإشكال، ومن ذلك:

١- قوله تعالى { **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** }[٣] ، خصص في هذه الآية هدى هذا الكتاب بالمتقين، وجاء في آية أخرى ما يدل على أن هداه عام لجميع الناس، وهو قوله تعالى: { **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ** }[٤] ، ووجه الجمع بينهما: أن الهدى يستعمل في القرآن استعمالين:

أحدهما: عام والثاني خاص، أما الهدى العام معناه: إبانة طريق الحق وإيضاح المحجة، سواء سلكها المبين له أم لا، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى:

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٣١١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

{**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**}[1]، أي: بينا لهم طريق الحق، على لسان نبينا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، مع أنهم لم يسلكوها، بدليل قوله عز وجل: {**فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** }[2] ، ومنه –أيضاً– قوله تعالى: { **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ** }[3] ، أي: بيننا له طريق الخير والشر، بدليل قوله تعالى: {**إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** }[4] ، وأما الهدى الخاص، فهو تفضل الله بالتوفيق على عباده، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: { **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** }[5]، وقوله تعالى: { **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ** }[6] ، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الهدى الخاص بالمتقين هو الهدى الخاص، وهو التفضل بالتوفيق عليهم، والهدى العام للناس وهو الهدي العام، وهو إبانة الطريق وإيضاح المحجة، وبهذا يرتفع الإشكال أيضاً بين قوله تعالى: { **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** }[7] ، مع قوله تعالى: { **لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** }[8] ؛ لأن الهدى المنهي عنه ﷺ هو الهدى الخاص، لأن التوفيق بيد الله وحده[9] .

**

(١) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٧) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٨) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٩) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ص٩-١٠.

المبحث السابع

دفع إبهام الإشكال عن آيات القرآن الكريم

ترى الباحثة أن العلماء بينوا أوجه الجمع بين الآيات القرآنية التي يظن بها الإشكال على حسب فهمهم للآيات، ومن الإشكالات التي تكمن في فهم القرآن ما يلي:

١- الإشكال في الضمائر المستخدمة:

قد أشكل فهم الضمائر المستخدمة في القرآن على بعض الناس؛ لأنها في حاجة إلى التأمل السديد والتدبر الدقيق، للوصول إلى دلالات تلك الضمائر على اختلاف مواقعها في القرآن، إذ كان الأصل في استخدام الضمائر أن يكون مطابقاً للاسم الذي يعود عليه في نوعه، التذكير أو التأنيث، وعداده: الإفراد أو التثنية أو الجمع والمثال على ذلك:

أ- قوله تعالى: { **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ** }[١] .

ترى الباحثة أن للعلماء في ضمير (بنورهم) قولين كما يأتي:

القول الأول: أنه يعود إلى الذي؛ لأن معناه معنى الجمع، ومن ذلك ما ورد في تفسير الكشاف بأن مرجعه الذي استوقد؛ لأنه في معنى الجمع، وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في (حوله) فللحمل على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى[٢] .

القول الثاني: أنه يعود إلى محذوف وتقديره: "كمثل أصحاب الذي" ليطابق المشبه على المشبه به؛ لأن المشبه جمع، فلو لم يقدر هذا المضاف، وهو "أصحاب" لزم أن يشبه الجمع بالمفرد[٣] .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج١، ص١٩٢.

(٣) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، ت٧٥٦، الدر المصون، تحقيق: أحمد محمد الخراط،ج١، ص١٦٣، دار القلم، دمشق.

وترجح الباحثة القول الأول لجواز تشبيه المفرد بالجمع في الصفة الجامعة بينهما؛ إذ كان المستوقد واحداً من الجماعة، تولى الإيقاد لهم، فلما ذهب الضوء رجع الظلام عليهم جميعاً ومن ذلك قول صاحب كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، بان لفظة "الذي" مفرد ومعناه عام لكل ما تشمله صلة، وقد تقرر في علم الأصول، أن الأسماء الموصولة كلها من صيغ العموم، فإذا حققت ذلك، فاعلم أن إفراد الضمير باعتبار لفظة "الذي" وجمعه باعتبار معناها، ولهذا المعنى جرى على ألسنة العلماء: أن "الذي" تأتي بمعنى "الذين"[١] .

ب- قوله تعالى: { **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** }[٢] .

ترى الباحثة أن للعلماء في ضمير (مثله) أربعة أقوال كما يلي:

القول الأول: أنه عائد على القرآن، وعليه تكون من "للتبعيض أو لبيان الجنس، والمعنى: فأتوا بسورة من كتاب مثل القرآن[٣].

القول الثاني: أنه عائد على "عبدنا"، وعليه تكون "من" لابتداء الغاية، والمعنى: فأتوا بسورة من بشر مثله[٤] .

القول الثالث: أنه يعود على "الأنداد" بلفظ المفرد كما في قوله تعالى: {**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ**

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ص١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٣) إعراب القرآن وصرفه وبيانه، صافي، محمود، ج١، ص٧٦، ط٣، دار الرشيد، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، ج١، ص٢٣٢، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦.

الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }[1]، والمعنى: فأتوا بسورة من مثل تلك الأنداد[2] .

القول الرابع: أنه يعود على النبي ﷺ والمعنى: فأتوا سورة من مثل ذلك النبي[3] .

ترجح الباحثة القول الأول الذي يرى أن الضمير يعود إلى القرآن؛ لأن موضوع الآية كان عن القرآن، ولا يجوز أن ينفك عنه، لتنسيق الترتيب والنظم؛ ولأن الإعجاز يمكن في القرآن الكريم ولا في غيره.

٢- الإشكال في استخدام اسم الإشارة:

قد أشكل اسم الإشارة في القرآن على بعض الناس؛ لأنه في حاجة إلى التأمل السديد والتدبر الدقيق، للوصول إلى دلالات أسماء الإشارة على اختلاف مواقعها في القرآن، إذ كان الأصل في استخدام أسماء الإشارة أن يكون مطابقاً المشار إليه في نوعه: التذكير والتأنيث، وفي عدده: المفرد والتثنية والجمع، ويوافقه بعداً أو قرباً والمثال على ذلك:

أ- قوله تعالى: { **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** }[4] .

وقد أشكل استعمال "تلك" على بعض الناس، إذ استعمل تلك الدالة على البعيد، للإشارة إلى "حجتنا" الدالة على القريب، وقد أجاز النحاة استعمال "هذه" و"تلك" في هذا السياق، ومن ذلك ما ورد في كتاب شرح التسهيل لابن مالك، بأنه قد ينوب ذو البعد عن ذي القرب؛ لعظمة المشير إلى المشار إليه، وذوو البعد

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٦.

(٢) إعراب القرآن، النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد، ت: ٣٣٨، زهير غازي، ج١، ص١٩٩، ط٢، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسن، تحقيق: سعيد كريم الفقي ج١، ص٢٦، ط١، دار اليقين، المنصورة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.

عن ذي القرب؛ لحكاية الحال وقد يتعاقبان مشاراً بهما إلى ما ولياه من الكلام[١] ، ومن ذلك قول صاحب كتاب "مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، بأن أسماء الإشارة منها ما وضع للقريب، ومنها ما وضع للتراخي البعيد، ومنها ما وضع للمتوسط، فالموضوع للقريب المذكر: ذا، والمؤنث: ذي، وذه، وتا وللاثنين ذان، وللاثنتين: تان، وللجماعة الذكور والإناث: ألاء –ممدود– وألا – مقصور، وقالوا للمتوسطن ذاك، فزادوا الكاف، وتيك، وذانك، وتانك وأولاك، وأولئك، وقالوا للمتباعد الغائب: ذلك فزادوا اللامن وتلك وتالك[٢] .

ب– قوله تعالى: { **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**}[٣] .

وقد يشكل استخدام لفظ "أولئك"، إذ خاطب أعضاء الإنسان مخاطبة العقلاء في الآية الكريمة، وللعلماء عن الإشارة بأولئك إلى الجمع غير العاقل ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها مما يشار بها إلى العقلاء وغيرهم[٤].

القول الثاني: أنها تختص بمن يعقل، ولكن عبر بأولئك عن السمع والبصر والفؤاد في الآية، أنها أجريت مجرى العقلاء، لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها[٥] .

---

(١) شرح التسهيل لابن مالك، الطائي جمال الدين محمد بن عبد الله، ت:٦٧٢، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ج١، ص٢٤٨، ط١، هجر للطباعة، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) فرحات مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، ص٣٨٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) الكشاف، الزمخشري، ج١، ص٢٨٤.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، ت:٥٤٦، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج٣، ص٤٥٥، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

القـول الثالـث: أنهـا يغلـب أن يـشار بهـا إلـى العقـلاء، ويقـل مجيئـه لغيـر العقلاء[١].

تـرجح الباحثـة القـول الأول بأنهـا ممـا يـشار إلـى العقـلاء وغيـرهم، ولـم يجـد الإشكال في ذلك، لجواز إطلاق الجزء وإيراد الكل كما في قوله تعالى: { **إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى** }[٢] إذ أطلـق عـين أم موسـى، وأراد شخـصيتها، ولجـواز استعمال اسم الإشارة لغير الحاضر المحسوس بتنزيل الغائب كما في قوله تعالى: {**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ** }[٣]، ومن ذلك قول صاحب كتاب معاني القرآن وإعرابه، بأن (أولئك) تستعمل لغير الناس؛ لأن كل جمع أشرت إليه من الناس وغيرهم من الموات، تشير إليه بلفظ أولئك[٤].

**

(١) أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله، ت:٧٦١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، ص١٣٤، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٣، ص٢٣٩.

الخاتمــة

بعد المسيرة العلمية مع بعض كتب اللغة والتفسير وعلوم القرآن، التي ازدهرت حتى القرن السادس السابع والثامن الهجري، نوجز فيما يأتي أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١- أثبت البحث أن مصطلح المشكل من المصطلحات التي أصابها التطور الدلالي إذ دل اللفظ في الأصل على الإشكال الذي ينتج عن طريق المشابهة والمماثلة مما يوقع الاختلاط والتدخل ثم تطور معناه ليشمل كل ما غمض من المعاني والتراكيب على المتلقى.

٢- أظهر البحث المصطلحات التي لها علاقة بمصطلح المشكل، وتداولها أهل اللغة وعلماء علوم القرآن، والتفسير والحديث وغيرهم كمصطلح التأويل والغريب والمبهم والمتشابه والمختلف والتناقض والتعارض، وذكر الفرق بين هذه المصطلحات عند المتخصصين.

٣- أكد البحث أن وجود الإشكال في القرآن الكريم أمر نسبي؛ إذ لا يوجد المشكل في القرآن، وإنما الإشكال يعود إلى القارئ أو المفسر، فقد بشكل على أحد ما لا يشكل على الآخر، لأن الله تعالى أنزل القرآن الكريم كتاباً لا اختلاف ولا تعارض فيه.

وفي الختام أسأله تعالى أن يكون هذا البحث خلفه الإخلاص والقبول، وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأستغفره عن زللي، وأسأله الحسنى وزيادة لي ولكل من ساعدني، قريب أو بعيد على إتمام هذا العمل وإلى كل من أسدى لي معروفاً أو سهل صعباً، فجزاهم الله تعالى خير ما يجزي به عباده الصالحين، وأشكره تعالى فالصواب منه وما بي إلا جهد الضعيف، وأستعينه فهو العفو عن الخطأ، فهو مني وأنا من الخطائين وأتوب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،،

المصادر والمراجع

١- معاني القرآن، الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ت:٢١٥، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود شكري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣- الجامع الصحيح، البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت:٢٥٦، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة.

٤- جواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، ت:٨٧٥، تحقيق: محمد على معوض وآخرون، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٥- معجم التعريفات، الجرجاني على بن محمد، ت:٨١٦هـ، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

٦- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن الجماعة، بدر الدين، ت:٧٣٣هـ، تحقيق: عبد الجواد خلف، ط١، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨- علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، حقي محمد صفاء شيخ إبراهيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٩- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، ت:٤٦٣، المكتبة السلفية، المدينة المنورة .

١٠- التيسير في القراءات السبع، الداني أبو عمرو، ت:٤٤٤هـ، تحقيق: خاتم صالح الضامن، ط١، مكتبة التابعين، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١١- منهج ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن وأثره في الدراسات القرآنية، دار دجلة، عمان، ٢٠١٢م.
١٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ت:٥٣٨، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، مكتبة العبيكان، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٤- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابة التحرير والتنوير، الزهراني مشرف أحمد، رسالة الدكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.
١٥- تيسير الكلام الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي عبد الرحمن بن ناصر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
١٦- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت:٩١١هـ، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
١٧- إعراب القرآن وصرفه وبيانه، صافي محمود، ط٣، دار الرشيد، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١١٩٥م.
١٨- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر.
١٩- مشكلات القرآن الكريم وتفسير سورة الفاتحة، عبده محمد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٠- مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسن أحمد، ت:٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢١- مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، فرحات أحمد حسن، ط١، دار عمار، عمان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٢٢- القاموس المحيط، الفيروزأبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، ت: ٨١٧هـ، الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢٣- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت:٢٧٦هـ، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ/٢٠٠٧م.
٢٤- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: عبد الله عبد المحسن، التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٢٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ين عمر، ت: ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٦- معاني القرآن، الكسائي على بن حمزة، ت:١٨٩هـ، تقديم: عيسى شحاته عيسى، دار قباء للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م.

* * *